[285] الآية (خالِقُ كُلّ ِ شيء) ثمّ تستنتج لتقول : (فاعبدُوه) . ولقطع كلّ أمل بغير ا وصدّ البشر عن التعلّق بعالم الأسباب وإجتثاث جذور الشرك تقول الآية : (وهُو على كُلّ ِ شيء وكيلٌ) . كلمة (شيء) كما يقول اللغويون : تعني كلّ أمر يمكن أن يناله علم الإنسان(1). إلاّ أنّها في آية البحث تعني كلّ الموجودات ما سوى ا سبحانه . وعلى أي حال فإنّ لهذه الكلمة مفهوماً واسعاً يشمل كلّ الموجودات المادّية والمجرّد والذهنية والخارجية والجوهر والعرض ، وبإختصار : أنّها تشمل كلّ شيء ، وهذه الآية دليل واضح على عمومية الخلق الإلهي بالنسبة لكلّ شيء . وقد وقع هنا نزاع معروف بسبب شمول (شيء) لأعمال الإنسان بين جماعة تقول بالجبر ـ كالفخر الرازي ـ حيث تقول : إنّ أعمالنا داخلة في كلمة (شيء) أيضاً ، فا إذن هو خالقها ، وهذه الآية دليل على الجبر عندهم ، ولكن المؤيّدين لحريّة الإرادة لهم إجابة واضحة ومستدلّة وستأتي في الإيضاحات . وقد إستدلّت جماعة بهذه الآية على نفي الصفات الزائدة على الذات في مواجهة الأشاعرة القائلين بأنّ ا ذو صفات منفصلة عن ذاته ، فلو كان الأمر كذلك فانّ كلمة (شيء) تشملها ويجب ـ حينئذ ـ أن تكون مخلوقة ، ولا معنى لأن يخلق ا صفاته كالقدرة والعلم و... ولا ينسجم هذا مع وجوب الوجود أساساً . فأجاب بعض الأشاعرة بتخصيص عموم الآية بأن نقول : إنّ (خالق كلّ شيء) لا يشمل صفات ا ! ولكن الآية تأبى الإستثناء ولم يرد عليها أي تخصيص كما سنبيّن ذلك بإذن ا . * * *

_____

1 ـ هذه الكلمة مصدر (شاء) وتكون تارةً بمعنى اسم الفاعل وتارةً بمعنى اسم المفعول (فتأمّل جيدّاً) .